أبو عثمان سعيد بن حكم
صاحب جزيرة منرقة

د. محمد دغيم

هو أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبدالعزيز بن حكم القرشي. هكذا ذكره ابن عبد الملك المراكشي في كتابه "الذيل والتكملة"، ونقل ذلك عنه السيوطي في بغية الوعاة[1]. غير أن الغبريني، في كتابه "عنوان الدراية" يذكر خلافاً في ترتيب بعض أسماء أجداد ابن حكم بعد الجد الأول. إذ يذكره ضمن من دخل بجاية من العلماء، على أنه " أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم بن عبد الغني القرشي[2]. ويوافق ابن سعيد في كتابه "اختصار القدح المعلى" وكذلك ابن الأبار في "الحلة السيراء"[3] ترتيب الغبريني لأسماء آباء ابن حكم، غير أنهما يغفلان ذكر اسم جده الأعلى عبد الغني كما يذكره الغبريني، أو عبد العزيز كما يورده ابن عبد الملك المراكشي، وعنه يأخذ السيوطي. ورغم أن ابن سعيد يعد أقرب المؤرخين من أبي عثمان سعيد بن حكم، لصداقتهما القديمة، وتلقيهما العلم في حلقات الدرس في إشبيلية في زمن واحد، واستمرار صلتهما وتراسلهما بعد أن فرق الزمن والأحداث بينهما، فعاش ابن سعيد في المشرق فترة، ثم استقر في تونس، وانتقل ابن حكم بين مدن شمالي أفريقية، ثم استقراره في جزيرة منرقة، إلا أن صلتهما لم تفتر، ومراسلاتهما لم تنقطع، ورغم ذلك فلعل ابن سعيد لم يكمل إتمام سلسلة نسب ابن حكم

وهو يترجم له لبعد الشقة عن تأليفه كتابه القدح المعلى، أو اكتفى بذكره أجداده الأقربين، أو لعل من اختصر كتاب القدح المعلى - الذي وصلنا مختصراً - قد حذف بعضاً من سلسلة هذا النسب.

كان مولد أبي عثمان سعيد بن حكم ليلة السبت سادس جمادى الآخرة سنة إحدى وستمائة للهجرة[٤] في طبيرة (أو طلبيرة) [٥] في غرب الأندلس. وكانت وفاته يوم السبت السابع والعشرين من رمضان عام ثمانين وستمائة.

ولا نعرف عن نشأة ابن حكم الكثير. غير أنه يبدو أنه من أسرة مرموقة المكانة، ينتمي آباؤه إلى قريش، كما ينتمي أخواله بنو عيسى إلى الخزرج. وقد أتاحت له ظروف أسرته أن يتلقى العلم على خيرة علماء عصره، منهم أبو الحسن الدباج (ت ٦٤٦هـ) وأبو علي الشلوبين (ت ٦٤٥هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) وأبو القاسم بن يزيد بن بقي (ت ٦٢٥هـ) وأبو الحسن محمد بن محمد بن زرقون والقاضي أبو بكر محمد بن إسماعيل بن خلفون (ت ٦٣٦ هـ) والفقيه أبو بكر السقطي (ت ٦٣٦هـ) وأبو الحسن أحمد بن محمد بن السراج الإشبيلي (ت ٦٥٧هـ) والفقيه أبو الحسن علي بن أبي نصر البجائي (٦٥٢هـ) [٦]. وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي علماء آخرين لقيهم في شمالي أفريقية، كما أجازه علماء من المشرق، منهم أبو الحسن علي بن أحمد القسطلاني[٧].

وواضح أن بعض هؤلاء العلماء الذين تلقى عنهم كانوا بإشبيلية، مثل أبي علي الشلوبين الذي جلس لتعليم العربية خمسين عاماً أو يزيد، وكان حجة عصره في النحو. وقد ذكر ابن سعيد أن أبا عثمان بن حكم أرسل مقطوعة شعرية إلى أبويه يعبر عن أشواقه إليهما وهو في

المرية "أيام شبابه وارتحاله لنيل المجد وطلابه"[٨]. ثم يورد تسعة أبيات نظمها ابن حكم معبراً عن هذه الأشواق والحنين اللذين تختلج بهما نفسه، وتجيش بهما عواطفه. ولا ندري هل كان ارتحال ابن حكم إلى المرية طلباً للعلم، وهو في ريعان شبابه، أم أنه كان يحتل منصباً أو يطمح إلى منصب يناله، كما يذكر ابن سعيد أبوي ابن حكم بالاحترام والإجلال عندما يدعو لهما بعد هذا التقديم بقوله: "قدس الله ضريحهما". وإن كنا لا نعرف عنهما أو عن مكانتهما العلمية أو السياسية شيئاً. أما أخواله فهم بنو عيسى. وقد تولى أحدهم رياسة شاطبة. وقد رثاه الشعراء عند مقتله على يدي الباجي. وممن رثاه أبو القاسم أحمد بن يامن (أو يامين) وحزن عليه ابن حكم حزناً شديداً نغص عليه حياته وكدر صفاء عيشه السابغ كما يقول ابن سعيد[٩].

خرج أبو عثمان سعيد بن حكم من الأندلس، وجال في المغرب في زمن مبكر. إذ يذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه لقي بإفريقية سنة أربع وعشرين وستمائة أبا الحسن علي بن محمد بن إسماعيل.. الميافاريقي، وأخذ عنه بعض منشداته[١٠]. ويروي ابن الأبار أن ابن حكم "كان بإفريقية لما خاف من والي إشبيلية[١١]. وإن لم يذكر اسم هذا الوالي، أو سبب هذا الخوف الذي دفع بابن حكم إلى أن يرحل إلى إفريقية وهو في ريعان شبابه. كما دخل بجاية وبقي بها مدة كما يذكر الغبريني، ثم انتقل إلى تونس حيث أميرها أبو زكريا الحفصي[١٢].

ويذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه كتب عن بعض أمراء إفريقية ثم دخل الى جزيرة ميورقة في أيام أبي يحيى بن أبي عمران التينمالي، ومنها استعمل على مجبى منرقة وأمر الأجناد بها. فدخل إليها في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة[١٣]، واستقل بها عندما استولى خايمي الأول ملك

قطلونية وأرغون على جزيرة ميورقة سنة سبع وعشرين وستمائة للهجرة[١٤]. وعقد مع خايمي الأول صلحاً ليدرأ خطره عن منرقة مقابل إتاوة سنوية يدفعها له. ولكن يبدو أن الأمور لم تستتب له إلا بعد أن تغلب على قاضي منرقة أبي عبدالله محمد بن أحمد بن هشام، وانفرد ابن حكم بضبط أمور جزيرة منرقة اعتباراً من ثاني عيد الفطر سنة إحدى وثلاثين وستمائة. وأخرج ابن هشام وابنه ثم استرجعهما[١٥]. وقد وصف ابن عبدالملك المراكشي ما حدث بأنه فتنة طرأت وانتهت باستيلاء ابن حكم على ثغر منرقة وخلوصها له. وإن لم يذكر تفاصيل هذه الفتنة.

استطاع ابن حكم بعد أن استقر به المقام في جزيرة منرقة وآل إليه أمرها أن يضبط أمورها أحسن ضبط وداري النصارى ودرأ شرهم بدفع إتاوة سنوية لهم، واشترط مقابل ذلك ألا يدخلها عليه أحد من النصارى. واستمر حكمه للجزيرة أكثر من نصف قرن إلى أن وافته المنية سنة ٦٨٠هـ، كما أسلفنا، وخلفه ابنه أبو عمر حكم الذي حكم إلى سنة ٦٨٦هـ. غير أنه لم يستطع أن يسد الثغرة التي تركها والده، وإن كان يتمتع بخصال عظيمة أثنى عليها المؤرخون، ومنهم ابن الخطيب الذي وصفه بأنه "أفضل من أبيه في دماثة الخلق، والعفة عن الدماء والأبشار، والاجتناب للعظائم، مع حسن الخط ورواية الحديث، وقرض الشعر، إلا أنه لم يستقل استقلال أبيه ولا نهض نهضته"[١٦].

ولم يتمكن أبو عمر هذا من مداراة النصارى ودرء خطرهم الداهم، فبيتوا النية على غزو جزيرة منرقة وتملكها مثلما ملكوا جزيرة ميورقة، وبعدها جزيرة يابسة. وسقطت منرقة نهائيا في أيدي ألفونسو الثالث ملك قطلونية وأرغون ووقع اتفاق تسليم الجزيرة في ثالث ذي الحجة سنة ست وثمانين وستمائة. وغادر أبو عمر حكم بن سعيد

جزيرة منرقة، هو وأسرته. وقد ذهب إلى المرية ثم غرناطة، وأقام بها أياماً تحت جراية أميرها، ثم لحق بسبتة حيث دفن أبو عمر جثة والده التي حملها معه من جزيرة منرقة. ثم غادرها إلى تونس ولكن المنية وافته بعد أن تعرض المركب الذي يستقله لعاصفة هوجاء، فمات غريقاً وكل من كان معه من أهله. وكان ذلك في سنى ٦٨٦هـ. أو بعدها بعام بأحواز الجزائر(١٧).

وبذلك طويت هذه الصفحة المشرقة من تاريخ جزيرة منرقة التي حكمها أبو عثمان سعيد بن حكم زهاء نصف قرن بدهائه وحنكته وبسالته، وجعل منها مناراً للعلم وموطناً للعلماء والشعراء كما سنرى. ولا يؤخذ عليه إلا قسوته وشدته في العقاب وسفك الدماء، كما يقول ابن الخطيب الذي يورد مثلاً على ذلك قتله لمن يثبت عليه شرب الخمر، ومناقشته لاعتراض الفقيه ابن مفوز على ذلك واحتجاجه بأنه في جزيرة يكثر فيها العنف والناس يشربون ويسكرون فيضيعون الاحتراس ويظهر علينا العدو(١٨). وعدم اقتناع ابن مفوز بذلك وغضبه لتجاوز ابن حكم أحد حدود شرع الله.

كان أبو عثمان سعيد بن حكم شاعراً كاتباً عالماً. وصفه الغبريني بقوله: "الشيخ الفقيه الأجل الرئيس المكرم المرفع أبو عثمان سعيد بن حكم.. له علم بالعربية والأدب وله نظم ونثر وكتابة مستحسنة وله مشاركة في العلوم وله رواية عالية. وكان فصيح القلم واللسان بارع الخط.." (١٩). ووصفه ابن عبد الملك المراكشي، ونقل عنه السيوطي، بأنه: "كان نحوياً أديباً حسن التصرف في النظم والنثر مشاركاً في الفقه والحديث والرجال، ذا حظ صالح من الطب"(٢٠) ووصفه المقري بقوله: "الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي"(٢١). ويضيف

ابن عبد الملك المراكشي - وينقل عنه السيوطي - إلى صفاته الجليلة وضبطه لأمور جزيرة منرقة أنه "لا يفتر على النظر في العلم وإفادته واستفادته شغفاً به وتفضيلاً له"[٢٢]. وقد روى عن أبي عثمان سعيد بن حكم كثيرون: منهم يوسف بن مفوز، وابنه أبو عمر حكم - الذي خلفه في حكم جزيرة منرقة - ومولاهما أبو محمد عبد الله الرومي، وأبو عبدالله بن أبي بكر البري (التلمساني)، وأحمد بن الجلاب، وأبو الحكم العادل بن إبراهيم، وأبو علي عمر بن علي بن الشاطبي، وأبو الحسن علي بن يحيى التجيبي المنرقي، وأبو عامر أحمد بن أبي بكر محمد بن محمد بن محرز[٢٣]، وقد أجاز لأبي محمد عبد الله بن محمد بن الرهان[٢٤]. ولا ندري هل جلس ابن حكم للإقراء والتدريس في فترة من حياته، أم أنه كان يلتقي بالعلماء وطلاب العلم سواء كان في بجاية أو في منرقة أو قبل ذلك في إشبيلية أو في تونس. وقد كان للصفات العظيمة التي تمتع بها ابن حكم من كرم وعلم واحتفاء بالعلماء والأدباء في جزيرة منرقة ما جعل منه محط الأنظار والآمال، ومن جزيرته التي ازدهرت في عهده موطناً آمناً يلجأ إليه الناس خاصة أصدقاءه ومعارفه الذين وفدوا إليه من الأندلس يطلبون رفده وينعمون برغد العيش في كنفه، بعد أن تعرضت الأندلس إلى حملات الاسترداد المسيحي، وسقطت مدنها الكبرى والصغرى الواحدة تلو الأخرى بعد أن خسر الموحدون معركة فاصلة سنة ٦٠٩هـ، عرفت بمعركة العقاب، وما تلا ذلك من تفكك لأواصر الدولة الموحدية في الأندلس وتنافس أمراء الدولة الموحدية على السلطة في الأندلس وفي المغرب، ونهوض أمراء محليين اندلسيين يستقلون بإمارات هنا وهناك، ويرسلون بيعاتهم إلى الخليفة في مراكش أو الخليفة العباسي في بغداد أو

الحفصي في تونس، وكان من بين هؤلاء الأمـــراء زيـــان بـــن مردنيـــش[٢٥] والمتوكل محمد بن يوســـف بـــن هـــود[٢٦] وابـــن الأحمـــر[٢٧]. كمـــا قـــامت زعامات صغرى محلية تدير شؤون المدن تـــابعين لأحـــد هـــؤلاء الأمـــراء أو يختارهم أهـــل المدينـــة تجنبـــاً للفوضـــى وإنقـــاذاً لواقـــع مـــزر ومســـتقبل مجهول، ومن هولاء أبو مـــروان البـــاجي[٢٨] ثـــم الحـــافظ أبـــو عمـــر بـــن الجد[٢٩] في اشبيلية، وأبو بكر عزيـــز بـــن خطـــاب فـــي مرســـية[٣٠] وأبـــو الحسين بن عيسى[٣١] في شاطبة، ثـــم كـــان ســـقوط المـــدن الكـــبرى فـــي أيدي النصارى، ســـقطت قرطبـــة عـــام ٦٣٣هـــ وســـقطت بلنســـية عـــام ٦٣٦هـــ وشاطبة عام ٦٤٥هـــ وإشـــبيلية عـــام ٦٤٦هـــ. وكـــان مقتـــل ابن هود سنة ٦٣٥هـــ علـــى أيـــدي عاملـــه أبـــي عبـــد الله الرميمـــي فـــي المرية ضربة قاصمة لآمال الأندلسيين المتطلعين إلـــى الصمـــود فـــي وجـــه الغزو المسيحي لمدنهم وقرانهم وأراضيهم. ولم يبـــق مـــع منتصـــف القـــرن السابع إلا ابن الأحمر الذي أسس ملكـــه فـــي غرناطـــة وأحوازهـــا، وخلفـــه بنوه من بعده على حكمها إلى أن دالـــت دولتـــهم بعـــد ذلـــك بقـــرون علـــى أيدي فرديناند وإيزابيلا عـــام ٨٩٨هـــ (١٤٩٢)م.

نزح كثير من الأندلســـيين فـــي خضـــم هـــذه الأحـــداث منـــذ بدايـــات القرن السابع للهجرة إلـــى شـــمال إفريقيـــة: إلـــى مراكـــش حيـــث مركـــز الخلافة وإلى سبتة حيث عاملها أبو علـــي الحســـن بـــن خـــلاص القضـــاعي البلنسي الذي استصدر ظهيراً (مرســـوماً) مـــن الخليفـــة الموحـــدي الرشـــيد سنة ٦٣٧هـــ يســـمح بموجبـــه للأندلســـيين بالإقامـــة فـــي ربـــوع دولتـــه ويعدهم بتقديم المساعدات لهم[٣٢] وكـــان قبـــل ابـــن خـــلاص عـــاملاً علـــى سبتة أبو العباس اليانشتي وهـــو أندلســـي أيضـــاً وقـــد حكـــم بيـــن ســـنتي ٦٣٠هـــ و٦٣٥هـــ، حيث عين مكانه ابن خـــلاص وقـــد رعـــى كـــل منـــهما

من لجأ إليهما من الأندلسيين، وكان بلاط ابن خلاص يعج بالكتّاب والأدباء والعلماء الأندلسيين: منهم أو المطرف بن عميرة وابن الجنان وأبو بكر بن البنا وإبراهيم بن سهل. واستمر يحكم سبتة إلى أن غادرها بعد وفاة ابنه أبي القاسم غريقاً عام ٦٤٣هـ مع إبراهيم بن سهل حاملاً بيعة والده إلى الخليفة أبي زكريا الحفصي في تونس، فرحل الوالد الحزين أبو علي الحسن بن خلاص متوجهاً إلى تونس، فوافته منيته وهو في طريقه إليها في وهران ودفن ببجاية سنة ٦٤٦هـ[٣٣]. وكانت هناك بجاية التي أمها كثير من علماء الأندلس وفقهائها وأدبائها. وقد احتفظ لنا الغبريني بتراجم هؤلاء الأعلام الذين عاشوا في بجاية خلال القرن السابع الهجري، وخصهم بكتاب كامل هو :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية". وكان هناك بلاط أبي زكريا الحفصي ثم ابنه أبي عبد الله المستنصر من بعده, حيث اجتمع لديهما نخبة من علماء الأندلس المهاجرين إلى تونس، واحتفظ لنا ابن رشيد في رحلته بأسماء وتراجم الكثيرين منهم الذين لقيهم في تونس في تلك الفترة، ومنهم حازم القرطاجني وابن حبيش وابن سعيد وابن الأبار وكثيرون غيرهم[٣٤]. والملاحظ أن هؤلاء الأعلام كانوا ينتقلون بين هذه المدن ناشرين ثقافتهم ناقلين تراثهم العلمي والأدبي. وكان بلاط أبي عثمان سعيد بن حكم في منرقة لا يقل شأناً عن بلاط الخليفة الموحدي في مراكش، وأبي زكريا الحفصي وابنه المستنصر في تونس، من حيث احتفاؤه بالعلماء والشعراء والأدباء. وقد أتاح له طول المدة التي قضاها حاكماً لجزيرة منرقة منذ سنة ٦٢٧هـ إلى حين وفاته سنة ٦٨٠هـ والاستقرار الذي نعمت به الجزيرة في عهده أن تشهد جزيرة منرقة ازدهاراً اقتصادياً ونهضة

ثقافية وعلمية رائعة. وقد كان هو نفسه عالماً فقيهاً أديباً شاعراً، اجتمع في بلاطه نخبة صالحة من أهل العلم والأدب، كان منهم أبو عبدالله بن الجنان[٣٥] وأبو القاسم أحمد بن يامين (أو يامن) [٣٦] والشاعر إبراهيم بن سهيل وأبو بكر بن العوام الإشبيلي[٣٧] والأديب أبو الربيع سليمان بن علي عرف بكثير[٣٨] وأبو العلاء محمد بن علي المرادي المعروف بأبن المرابط مؤلف كتاب "زواهر الفكر وجواهر الفقر" في ثلاثة أسفار جمع فيه ما كان يدور في بلاط ابن حكم من شعر ونثر ومراسلات، وابن عمه القاضي ابو بكر بن المرابط، وأبو عبدالله البري التلمساني الذي ألف كتاباً بعنوان "الجوهرة في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة". وقد ألفه في السجن سنة ٦٤٤هـ، وأهدى منه نسخة بعد ذلك بسنة بخط يده إلى خزانة ابن حكم اعترافاً منه بفضله إذ أخرجه من السجن، وقد كان أسيراً لدى العدو، وافتداه بمال لإطلاق سراحه. وقد كان أبو عثمان سعيد بن حكم، كما كان أبو زكريا الحفصي في تونس، يدفعان فدية كثير ممن يقع أسيراً في أيدي العدو، حتى يفك من الأسر. وقد وصف ابن سعيد صنيع ابن حكم بقوله: "فكم لقيت بأقطار المغرب والمشرق من أديب أو شاعر أو حسيب، خلع عنه ربقة الإسار، ونقله إلى قرارة الإسلام من محلة الكفار"[٣٩]. ويذكر ابن سهل أن المركب الذي كان يستقله مزمعاً الرحلة إلى تونس قد تعرض له مركب للنصارى في الميناء قبل مغادرته فهرع أبو عثمان بن حكم في كوكبة من الفرسان إلى الميناء وأنقذ المركب الذي كان به ابن سهل، ونزل قائد مركب العدو منخذلاً ومسلماً على ابن حكم، وعاد ابن سهل مع سيده ابن حكم إلى الجزيرة ومدحه بقصيدة عصماء[٤٠]. ولم تقتصر عطاياه وأفضاله على من كان يحيا في كنفه،

بل كانت تصل إلى أصدقائه [illegible] مكتبته في مدن المغرب والأندلس، بل وإلى الحجاز كما يذكر ذلك ابن سعيد بقوله: "وما يجب أن يخلد من مكرماته، ويطرز به ذكره من عليّ هماته، أن المجاورين بالحرمين يستعينونه على ما هم بسبيله فيعينهم من اللجين والعين، مما يثلج الجنان ويقر العين"[٤١]. وممن كاتبهم ابن حكم، وهم مقيمون في مدن شمالي إفريقية: سبتة وبجاية وتونس ومدن الأندلس, الكاتب ابن همشك التينملي الذي عاد من الأندلس إلى سبتة عام ستة وثلاثين وستمائة في عهد ابن خلاص البلنسي، ثم غادرها بعد وفاة ابن خلاص وأقام في تونس منذ سنة سبع وأربعين وستمائة إلى أن توفي بها سنة ست وخمسين وستمائة[٤٢]. ومنهم صديقه ابن سعيد المقيم في تونس وأبو الربيع سليمان بن علي التينملي المعروف بأبن الغريغر، وكان أيضاً مقيماً بتونس[٤٣]، وأبو المطرف بن عميرة المخزومي الذي راسله من قابس وبجاية وسبتة ومدحه بقصائده وخصه بكثير من مراسلاته[٤٤]. وممن راسلهم ابن حكم ووصلت عطاياه إليهم من الفقهاء والصالحين ببجاية الفقيه أبو بكر بن محرز الزهري (ت٦٥٥هـ) وأبو العباس بن خضر وأبو الحسين الزهري وأبو عبدالله محمد بن ثابت القسنطيني[٤٥]. وقد اهتم ابن حكم بجمع الكتب واقتناء النفيس منها "حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، إذ كان مقصوداً بها من المسلمين والنصارى، فكان يتخدم بها إليه النصارى كما يتقرب بها إليه المسلمون[٤٦]:، بل قد تؤلف بعض الكتب له خاصة ليتحف بها مكتبته ويطلع عليها وقد ألفت باسمه التآليف المشهورة بالمغرب، ككتاب "رَوْح الشحر وروح الشعر" الذي يذكره المقري[٤٧]، ويبدي أراءه فيما يقرأ من تآليف وقد يكل أمر تقويم كتاب، إذا لم

يسعفه الوقت، إلى أحد حاشيته من الكتاب والعلماء كما فعل مع ابن يامن في شأن تأليف الفقيه الراوية أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المري التلمساني الذي رفعه إلى خزانته وسماه الجوهرة، وقد قال ابن حكم مخاطباً ابن يامن[٤٨]:

عساك تشقه لترى ... منازعه وتختبرا

فإما أن تفهرسه ... وإما أن ترى وترا

ولم أفرغ لأنظره ... ومنك من كفى النظر

وقد عرف عن الأندلسيين اهتمامهم باقتناء الكتب وإنشاء المكتبات الخاصة، خاصة عند بعض الأسر الموسرة التي تهيىء الفرصة لمن يرغب الإفادة من هذه المكتبات التي يتوارثونها كابراً عن كابر، ويعدونها من مفاخرهم[٤٩]. وقد انتقل هذا الاهتمام وذلك المتوارث إلى بعض الأسر التي نزحت من الأندلس إلى المغرب وتونس واحتفظت بمكتبة الأسرة وعملت على تنميتها وطلب النفيس من المخطوطات لتضم إليها إلى يومنا هذا. ومن هذه الأسر صاحبة المكتبات القيمة: آل الكتاني وابن سودة والبنوني في المغرب، وآل النيفر وحسن حسني عبد الوهاب الصمادحي وآل ابن عاشور في تونس، ناهيك عن الأسر الحاكمة سواء في الأندلس أو المغرب أو تونس ولا تزال هذه المكتبات أو ما بقي منها شاهداً على ذلك الاهتمام والحرص على الاحتفاظ بها ككنوز لا يفرط فيها.

كان ابن حكم الشاعر الأديب يقترح على جلسائه من الشعراء النظم في موضوعات معينة تعن له، وهو يلتقي بهم في مجلسه الذي يشبه أن يكون منتدى أدبياً. فمن ذلك ما يرويه لنا ابن المرابط عن

طلب ابن حكم إلى القاضي أبي بكر بن المرابط أن يعارض قصيدة علي بن الجهم الرائية التي يقول فيها:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا يدري

وطلبه إلى أبي عبد الله بن الجنان أن يعارض القصيدة ذاتها، وقد فعل كل منهما ما طلبه ابن حكم منه، وطلبه أن تعارض قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي مطلعها:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

فعارضها الفقيه أبو الحسين بن مفوز بقصيدة تضمنت مدح ابن حكم(٥٠).

وقد كان ابن حكم نفسه شاعراً احتفظت لنا كتب الأدب التي أرخت لحياته بشيء من شعره. ويذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه "رأى من شعر ابن حكم مجلداً جيداً أشف من ديوان شعر المتنبي بخط ابنه أبي عمر حكم"(٥١)، وإن لم يصلنا هذا المجلد الذي رآه ابن عبد الملك وأعجب به وقارنه بشعر المتنبي. فقد بلغنا شيء من هذا الشعر سجله صديقه ابن سعيد في كتابه اختصار القدح المعلى، كما احتفظ لنا بقدر أكبر من ذلك معاصره ابن المرابط في كتابه "زواهر الفكر" الذي لم يبق منه إلا السفر الثالث، وقد حوى كثيراً مما كان يدور في بلاط ابن حكم من مساجلات شعرية، أو ما كان يمدحه به شعراء يحيون في كنفه أو يراسلونه من خارج الجزيرة شعراً ونثراً، وما كان ينظمه هو في قصائد مستقلة، أو ما يضمنه رسائله الاخوانية من مقطوعات شعرية، أو ما ينظمه في مواقف عارضة يصف فيها ما يدور حوله أو يشاهده. وقد وصلنا من شعره ما ينم عن قدرة على الارتجال، كما سنعرض فيما بعد. ويبدو أن ملكته الشعرية أفصحت عن نفسها في

فترة مبكرة من حياته وقد وصلتنا من شعر تلك الفترة مقطوعتان: إحداهما تسعة أبيات سجلها ابن سعيد في اختصار القدح المعلى، بعث بها الشاعر إلى أبويه من المرية، يبث فيها شوقه وحنينه إليهما، منها قوله[٥٢]:

فراق ومسا لي بالفراق يدان ... إلى الله مما جره الملوان

قضى الله أن أحتل بالشرق برهة ... وإن كان بالغرب القصي مكاني

ففارقته والنفس تأبى فراقه ... وغادرته والشوق حشو جناني

لئن كنتما عن ناظريَ حُجبتما ... فإنكما في خاطري ولساني

والأخرى غزلية احتفظ لنا ابن سعيد بها، وهي من سبعة أبيات نظمها ابن حكم في أيام صباه، وقد مرت به امرأة جميلة كان زوجها شرطياً، فقال ابن حكم[٥٣]:

وجنة خازنها مالك ... يا ليتني كنت لها مالكاً

أسجد في محرابها سجدة ... نسكاً ومثلي لم يزل ناسكاً

وكيف أرجو القرب منها ... وقد أضحى حساماً لحظها فاتكاً

يحرمني من وجنتيها ما بدا ... روضا غدا من أدمعي ضاحكاً

إن أماني الفتى ضلة ... يمنى بها حتى يرى هالكاً

من لي بها شمس الضحى أطلعت ... جنح دجى من شعرها حالكاً

سلكت سبل الغي في حبها ... ولم أكن قبل لها سالكاً

وكان الشاعر يميل إلى الارتجال في موضوعات تعن له أو يجد نفسه في موقف مع جلسائه يصف ما يحدث في ذلك الموقف. فمن ذلك ما قاله ارتجالاً في قلم تكسر[٥٤]:

لكفـيَّ وتْـرٌ عنـد رجلـي لأنـها أبادت رضيع الكف واللبـن الحـبر

أحـارت قُـواه مقويـات بوطنـه وصار كسيراً مـا لأعظمـه جـبر

كما قال ارتجالاً في نوارة بكف جارية حسـناء حديثـة السـن[٥٥]:

نـوارة تحمـل نـوارة أبـهتني أيـهما أبـهج

كأنـها فـي كفـها شـمعة خضـراء لكـن رأسـها مسـرج

وله ارتجالاً في رنس الثيـاب[٥٦]:

أعيا علـى الغسـال غسـل ثيابـه وتقـاصرت عنـها يـد القصـار

ولقد طلبت لـها غسـولا جـاهدا فلمـا ظفـرت لـها بغـير النـار

وله في مؤذن سيىء النغمة قوله[٥٧]:

للأبَـدي أذان للخمـس فيـه هـوان

مـن أجلـه تتلاقـى آذاننـا والبنـان

وقد كان ابن حكم ينظم في موضوعات صغيرة، كقولـه فـي شـمعة[٥٨]:

وصفـراء مـن غـير مـا علـة لـها أدمـع أبـدا سـائله

تطيـل الوقـوف علـى واحـد مـدى ليلـها فـترى ناحلـه

تزيد علـى الشـمس فـي نورهـا إذا مـا غـدت للدجـى واصلـه

تحـارب دأبـا جيـوش الظـلام فتُبصـر مقتولـة قاتلـه

وله في محبرة عاج مذهبة الحلية وذكـر مدادهـا وأقلامـها[٥٩]:

طلعت على الليـل البـهيم صباحـا وحمتـه باحتـها وكـان مباحـاً

وبنـت بنيـه إزاءهـا وزراً لـه فلما نبـو فـي النائبـات سـلاحاً

وثنت رماحا مـــن نضـــار فـــانثنت رشحا لها صونـــا لـــهم وصلاحـــاً

فـــإذا تفـــرج بابـــها عنـــهم عنـــا الأب والبنـــون لأبيـــض إن لاحـــاً

إن الوفـــاء لخلـــــة لا تقضـــها في خلـــة حتـــى تكـــون صراحـــاً

وقد كتب على حمالة ســـيفه[٦٠]:

أبشر فقد نلت ما ترجـــو وتنتظـــر وقد جرى بـــالذي تختـــاره القـــدر

وســـاعدتك علـــى الأيـــام اربعـــة العز والنصـــر والإقبـــال والظفـــر

كما قال في ضـــرس[٦١]:

حبيـــب أحـــاذر منـــه التلاقـــي ومن دونه العيـــش مـــر التلاقـــي

فغيبتـــه ســـبب للوصـــال ورؤيتـــه ســـبب للفـــراق

كما قال في إبـــرة[٦٢]:

وما قناة من قناة الـــهند وفـــق فعلـــها عارية في نفســـها كاســـية لأهلـــها

حافرهـــا فـــي علوهـــا ورأســـها فـــي ســـفلها

وأرسل إلى بعض أصدقائه مع خمس مـــن الســـفرجل[٦٣]:

وجوار خمـــس كســـين اصفـــرارا إذ ســـلبن الـــذي لبســـن شـــعارا

قاســـيات وكـــن لليـــن أهـــلا أي عـــذر فـــي قســـوة لعـــذارى

من بنات الريـــاض أمســـين أحـــرا را وأصبحن فـــي الأكـــف أســـارى

كـــن بـــالبدر عاكفـــات فمـــا أن كـــان مـــا يلتحفـــن إلا اغـــبرارا

وجـــل ليلـــة الـــبراء كســـاهن اصفـــرارا، ألـــم تـــر الأبكـــارا

ومما قال في وصف المجبنـــات[٦٤]:

وناعمـــات علـــى العـــذاب مـــن المنـــى اللـــذة العـــذاب

يعلـو احمـرار منـها ابيضاضـا صبـغ حيـاء خـدي كعـاب

وجلس يومـاً متنزهـا بالبسـتان بمنرقـة ومعـه جماعـة الطلبـة، فقـال مرتجـلاً[٦٥]:

ويوم تولـى نظـم عقـد صحابـة كرام كسوا وجـه الزمـان جمـالا

أجنهم البستان بين ضلوعـه كسر هوى أجنى المحـب وصـالا

فقال الأديب الفقيه أبو الربيع سليمان بن علـي المعـروف بكثـيّر:

لقد عـم إنعـام الرئيـس وطولـه فعم علـى شـكر المطيـل وطـالا

أفـاد فعـالا لا كفـاء لمثلـه ولـم يكفـه فضـلاً فـزاد مقـالا

كما كان يراسل أصدقاءه شعراً ونـثراً، ووصلـت مراسـلاته إلـى اصدقائـه في تونس وبجاية وغيرهما. فمن ذلك ما كتـب بـه إلـى ابـن سـعيد فـي تونس مجاوباً لـه[٦٦]:

مـا رأينـا كعلـي بـن موسـى يسـتبي بالشـعر منـا النفوسـا

قد أرانـا الشـعر سـحراً حـلالا سـائغاً لـو نحتسـيه كؤوسـا

إن أبيـات علـيّ علـى الشـعر علـت حتـى تجلـت رؤوسـا

مثله مـن طـاب جنسـاً ونفسـا إنمـا يمنـح علقـاً نفيسـا

لا عدمنـاه خليـلاً جليـلا نجـد الفضـل عليـه حبيسـا

وقد ذيل هذه الأبيات بقطعة من النثر تصـور نزعـة ابـن حكـم فـي الكتابـة، وتمثـل أسـلوب ذلـك العصـر مـن احتفـاء الكتـاب بالسـجع والمزاوجة وغيرهـا.

كما كان يخاطب الخليفة الحفصي في تونس شعراً أورد ابن سعيد نتفاً منه[٦٧]، كما خاطب صديقه الشاعر ابن يامن شعراً[٦٨]، وخاطب أبا الحسن بن مفوز شعراً ايضاً[٦٩].

وكان يتلقى رسائل إخوانه من مختلف البلاد المغربية، ويجاوبهم غير متكبر أو متوان. فكان ممن يرسلهم أبو المطرف بن عميرة، إذ أرسل إليه ابن عميرة مذكراً بصلة الرحم بينهما إذ كلاهما قرشي[٧٠]:

فدتك أبا عثمان أنفسنا التي ... أعنة ذاك الفضل قادت عرابها

وعندي يا ابن العم فيها أليةٌ ... عرفت يقيناً برها وصوابها

بأن المعالي لو جمعن مسائلاً ... على الحصر فيها كنت أنت جوابه

ومنهم أيضاً أبو عبد الله محمد بن خطاب الهنتاتي الجياني الذي اختاره أبو عبد الله بن الأحمر ليتقلد منصباً رفيعاً في دولته في الأندلس، ثم قدم الى تونس، ونال فيها خطوة عظيمة. وقد مدح أبو عبد الله هذا أبا عثمان بن حكم بقصائد منها قوله[٧١]:

تفنى الكتائب بيض من قواضبه ... مفلولة وتشي أقلامه الكتبا

فقد أعد حساماً للجلاد به ... وللجدال لساناً مثله ذربا

في كفه قلم ماض يريك به ... أغنى من القضب الهندية القصبا

يمضي بما شاء من نفع ومن ضرر ... في كل خطب له حد الحسام نبا

وله فيه أيضاً[٧٢]:

يا رئيساً أرسى بحار علاه ... فوق هضب من الفخار منيف

قد عداني عن الخطاب اشتغال ... بأمور من كيد دهر عنيف

وراسل ابن حكم الخليفة الحفصي أبا زكريا في أكثر من مناسبة مادحاً مذيلاً رسائله بمقطوعات شعرية أثبتها ابن سعيد في اختصار القدح المعلى، كما أثبت ابن المرابط في زواهر الفكر رسالة مطولة ذيلها بقصيدة طويلة بعثها إلى أبي عبد الله بن أبي زكريا الحفصي، يهنئه فيها بانتصاره على عميه اللذين ثارا ضده بمواطئة ابن أبي يهرى[٧٣]. وراسل قبله أخاه أبا يحيى بن أبي زكريا[٧٤]. وعندما رزىء ابن حكم بوفاة ابنه محمد سنة ٦٤٩هـ رثاه الشعراء، ومنهم أبو القاسم بن يامين وأبو بكر بن المرابط وأبو عبد الله التلمساني[٧٥]. كما رثى الشعراء ابنته التي توفيت وقبلها ابنها. وقد رثاها ابن يامين، واستحسن ابن حكم مرثية ابن يامين هذه، فأتبع كل بيت منها ببيت من نظمه، فالأول مثلاً لابن يامين والثاني لابن حكم والثالث لابن يامين والرابع لابن حكم وهكذا إلى آخر القصيدة[٧٦]:

غريب لا يزور ولا يزار ... نأت عنه الأحبة والديار

(يهيم الهم منه بجار جنب ... وزور الأنس عنه له ازورار)

له في القلب نار ليس تخبو ... وإن كانت تحيط به البحار

(ألم نر أن دمع العين ماء ... وهل طفيت به للقلب نار)

أجنته منرقة في حشاها ... وكان له بشاطبة اشتهار

(ونقل الدهر نقل من محل ... لآخر إذ حميـاه تدار)

وقد جود ابن حكم في النظم في موضوعات الشعر المختلفة وإن كان يميل إلى الارتجال فيما يعن له من موضوعات أو يصادفه من مواقف. فقد وصف وقد رثى وقد ضمن رسائله مقطوعات شعرية مبتدئاً بها او مختتما بها رسائله، ومنها الاخوانية. ولكنه لم يمدح

ليتكسب بشعره فقد أغناه منصبه فلم يضطر أن يريق ماء وجهه طلباً لمال أو عطاء، بل كان يغدق على الشعراء والعلماء في منرقة وخارجها في مدن الأندلس وشمالي إفريقية، وإن كان يمدح في شعره أصدقاءه أو من يكن لهم الود والإجلال، مثل الأمير أبي زكريا الحفصي وابنيه أبي عبد الله المستنصر وأبي يحيى.

ولم يقتصر ابن حكم على قول الشعر والطلب إلى الشعراء أن ينظموا في موضوعات معينة أو أن يعارضوا قصائد لشعراء سبقوهم كما مر بنا، ولكن كان ينظم الموشحات أو يبدأ بمطلع موشح ويطلب إكمال ذلك الموشح كما فعل مع إبراهيم بن سهل، الذي صنع موشحه إجازة لابتداء موشح قاله ابن حكم، إذ قال[٧٧]:

طيف ألم ... شفى ألم
شوق هجم ... هجمة الأسد
كاد يبيد ... منه العميد
وهل يفيد ... ذاك أو يجدي

فأجازه ابن سهل قائلاً:

من لي بأحوى غرير ... قبلته بالضمير
فعبرت عن عبير ... أنفاسه بزفير
ولا جرم ... إن الضرم
إذا احتدم ... تم بالند
ولا جحود ... من الحسود
أفشى الوقود ... صندل الهند

وقد فقدت الموشحات التي نظمها ابن حكم ولم تصل إلينا، ولعلنا نظفر بها يوماً فيما قد يعثر عليه من مخطوطات لم تر النور بعد، أو يحتفظ بها أصحابها في مكتباتهم الخاصة ولم تفهرس أو يعلن عن محتوياتها.

وكما كان أبو عثمان سعيد بن حكم شاعراً كان كاتباً ايضاً. وقد احتفظ لنا ابن سعيد ببعض رسائله الإخوانية، وكذلك ابن المرابط بعدد غير قليل من رسائله القصيرة والمطولة. ويبدو أنه كان في فترة مبكرة من حياته يكتب لأحد ولاة الأندلس، إذ يذكر ابن المرابط أن ابن حكم كتب للرئيس أبي جميل زيان ابن الرئيس أبي الحملات مدافع ابن الرئيس أبي الحجاج بن سعد إلى الأمير أبي زكريا يحيى الحفصي(٧٨)، كما كتب عن بعض أمراء إفريقية كما يقول ابن عبدالملك المراكشي "بعد أن غاجر الأندلس قديماً في فتانه"(٧٩).

أما رسائله التي احتفظ لنا ابن سعيد ببعضها، فمنها رسالة ابن حكم الى صديقه ابن سعيد مجاوباً له شاكراً على هدية ربما تكون كتابين، استهلها ببعض الأبيات التي يقول فيها(٨٠):

ما رأينا كعلي بن موسى يستبي بالشعر منا النفوسا

قد أرانا الشعر سحرا حلالا سائغاً لو نحتسيه كؤوسا

ثم بعد أن يذكر أبياتا ثلاثة أخرى يبدأ رسالته النثرية التي تنم عن وده وشوقه وتقديره لابن سعيد وآبائه فيقول: "أمتع الله بك، أيها الولي الكريم، الوفي الصميم، الشريف أباً، المنيف حسباً، وصنع لك، وبلغك أملك، يخصك بالسلام الطيب كثنائك، الصيب كوفائك، مجلك بالحق الواجب، ومحلك من الود بين الترائب، سعيد بن حكم، وقد

وردت الحديقتان الأنيقتان، والروضتان الغضتان، تعبقان اذا تنتشقان، وتروقان لما ترمقان، والحسن من مرآهما يسفر، والدجن ينجلي من سناهما إذا يسفر. سبقت أولاهما كالبشرى، ونسقت بعد على إثرها الأخرى، فوافتا بالوفاء كله، ونافتا للقاء وكله، وجاءتا خفيفتي المحمل، ولطيفتي المجمل، قد رقتا فراقتا، وشقتا شقة البعاد بعد ما شاقتا، فلله مهديهما ومطلعهما نيرتين، لقد أوجب ببرهما حقاً كبيراً، وحمل من شكرهما ما يثقل ثبيراً، والله يتولاه، ويحفظ عليه من الحلي ما أولاه..".

ومن طيف ما كتبه نثرا، وذلك ضرب من ضروب التفنن في الكتابة والرياضة العقلية والأدبية، قوله بما يشبه اللغز في الفنار الذي يحمل فيه القنديل[٨١]:

"ما مصقول له رواء، محمول كأنه لواء، معمول على نسب كلها سواء، وما له معقول ففؤاده هواء، وقد نُظم نظماً، وما ضم الا عوداً وعظماً، يساير الظلام ويسامر، وينافي الصباح وينافر، ويصادي[٨٢] الرياح الهوج ويصادر، ومن لم يرد به الليل الدجوجي أعيت عليه المصادر أحرف هجائه أربعة، وعلى نير سمائة أرفعه، إن أغرت علة أوله أنرت[٨٣]، أو بتكت[٨٤] آخره فتكت، وإن ألقيت ثاني أحرفه ألفيت ما بعض الطوافين هامز لألفه، ولا أعرض منه للثالث القائم، فإن مصحف الباقي بعده سبب المناوح والمآتم[٨٥]. أما تعجبون لهجره الضياء ثم يثمره، ولوصله الظلام وهو ما يزجره، يرخى على النور فضل الذيل، ويعين على ناشئة الليل[٨٦]. وله مثل ذلك لغز في شمعة[٨٧]:

"ما جميلة المرآة، صقيلة كالمرآة، منتصبة كالقناة، مرتقبة من الأذان بالعشاء للأداة، مع الاستعمال قريبة الحياة، وعلى العطلة

والإغفال بعيدة الوفاة، منهلة وليست بغمامة، مستقلة ولكن بدعامة، ومع كونها تهمي بدرر، ترمي بشرر، كأنه ذهب حصل في سلك، أو كأنه سيب ماء وهي منه عصا فلك"..

ونكتفي بهذا القدر من هذه القطعة النثرية التي هي لغز في شمعة أراد بها الكاتب ابن حكم أن يتفنن فيها كسابقتها ويجعل من موضوعها لغزاً يختبر به قدرته على الكتابة وقدرة القارىء أو السامع على فهم اللغز وإدراك مراد الكاتب.

وهاتان القطعتان مثل رسائله التي أورد ابن سعيد وابن المرابط نماذج منها، وأشرنا إليها آنفاً، تعكس طبيعة نثر ذلك العصر، وهو القرن السابع الهجري الذي كان فيه النثر يهتم بالمحسنات البديعية، وفي مقدمتها السجع الذي يأتي سلساً احياناً، ومتكلفاً احياناً اخرى، ولا عمق للفكر فيه سوى هذه المقدرة على الكتابة وتطويع الألفاظ لما يريده الكاتب سواء في رسائله الإخوانية أو الديوانية، وينسجم مع تيارات الكتابة النثرية بهذه المحسنات البديعية التي صارت عنواناً على قدرة الكاتب وسمة العصر الذي يحيا فيه، وان أخفقت عجزاً فكرياً وتكراراً للمعاني التي سبقهم كتاب آخرون في عصور الازدهار إليها.

وبعد

فنأمل، ونحن نختم هذا البحث المقتضب، أن قد وفقنا إلى إعطاء لمحة وافية وصورة غير باهتة عن أبي عثمان سعيد بن حكم، ذي الشخصية الفذة التي جمعت إلى الحزم والسياسة والكياسة قدراً وافراً من العلم والأدب شعراً ونثراً ورعاية وعناية بالعلماء والأدباء في جزيرة منرقة التي قدر الله لها أن تصارع لمدة نصف قرن في ظل ابن

حكم، وبفضل سياسته، السقوط في أيدي الأعـــداء بعـــد أن ســـقطت اختاهـــا جزيرتا ميورقة ويابسة في براثـــن عـــدو لا يرعـــى إلا ولا ذمـــة، وحـــافظت هذه الجزيرة الممتنعة على المتربصين بها مدة نصـــف قـــرن علـــى هويتـــها العربية الإسلامية قبل ان يسدل الستار نـــهائياً علـــى هـــذا الجـــزء المشـــرق الوضاء من أقطار العالم العربي الإسلامي ممثلاً فـــي إحـــدى جـــزر الأندلـــس ذلك الفردوس المفقود، والذي يسميه الدكتـــور حســـين مؤنـــس - متفـــائلاً - الفردوس الموعـــود.

الهوامش

١. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، (بقية القسم الرابع): ٢٨-٢٩ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ١:٥٨٣. يتفق ابن رشيد مع هذا الترتيب غير أنه يذكر عبد الغني بدلاً من عبد العزيز.
ابن رشيد، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، ٢:٣٢٩.

٢. الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية:٣٠٣.

٣. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي: ٢٨
ابن الأبار، الحلة السيراء :٢:٣١٨.

٤. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،٤:٣٣ الغبريني، عنوان الدراية،٣٠٦ السيوطي، بغية الوعاة، ١:٥٨٣.

٥. يذكره ابن سعيد على أنه الطبيري (اختصار القدح المعلي: ٢٨) وكذلك يذكره ابن عبد الملك المراكشي(الذيل والتكملة٤:٢٩) والمقري التلمساني يذكره أيضاً على أنه من مدينة طبيرة من غرب الأندلس(نفح الطيب ٤:٤٧٢). أما الحميري في كتابه الروض المعطار (٣٨٧ و ٣٩٥) فلم يتأكد من وجود مدينة طبيرة، وذكر مدينة طلبيرة(٣٩٥) بالتفصيل. وقد أشار الدكتور حسين مؤنس في هامش صفحة ٣١٨ من الحلة السيراء، الجزء الثاني، لابن الأبار إلى وجود مدينتين باسم طبيرة، إحداهما تسمى TAVIERO قرب حدود أسبانيا مع البرتغال، والثانية وتكتب TAVIRA في البرتغال أيضاً وهي مركز إداري في مديرية الغرب ALGARVE وهي على ساحل البحر.

٦. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤:٢٩ الغبريني، عنوان الدراية، ٣٠٣ السيوطي، بغية الوعاة، ١:٥٨٣.

٧. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،٤:٢٩ ويذكر أسماء كثير من العلماء الذين أخذ عنهم أو أجاوزه. أما الغبريني فيذكر بعضهم ثم يقول "وغيرهم ممن يكثر تعدادهم". يذكر ابن رشيد أن أبا محمد الخلاسي وهو من أهل بلنسية وولد بها سنة ٦١٠هـ ثم ارتحل إلى تونس وأقام بها، قد أجاز ابن حكم إجازة عامة، ابن رشيد، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة ٢:٣٢٩.

٨. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٣٨.

٩. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى ٥٩ ، ٦٨ وابن عيسى هذا هو أبو الحسين يحيى بن أبي جعفر أحمد بن عيسى الخزرجي، وينتسب إلى الصحابي الشهير سعد بن

عبادة رضي الله عنه، وقد ترجم له ابن الأبار في الحلة السيراء (٢:٣٠٢-٣٠٨) ترجمة وافية، وذكر أنه ولد بدانية دار آبائه وبها نشأ ثم استوطن بشاطبة وبزغ نجمه فيها وساد وولي أمرها من قبل المتوكل محمد بن يوسف بن هود، ومدحه ابن الأبار (الديوان: ٢٤٩-٢٥١ و٣٢٣-٣٢٥) وقد كتب ابن يامن مدة عن رئيس شاطبة أبي الحسين بن عيسى، كما كان لأبي الحسين الذي توفي سنة ٦٣٤هـ ابن هو القائد أبو بكر بشاطبة، وقد خرج من شاطبة بعد أن سقطت في أيدي الروم وأوى إلى حصن. وكان ذلك في سنة ٦٤٥هـ، وقد رثاه ابن حكم ونسب إليه ابن المرابط في زواهر الفكر وجواهر الفقر (ورقة ٤٩) الأبيات الثلاثة التي أوردها ابن سعيد في اختصار القدح المعلى (٥٩) على أنها لابن يامن في رثاء ابن عيسى. كما كان هناك قواد آخرون من أسرة بني عيسى ذكر منهم ابن المرابط(زواهر الفكر وجواهر الفقر ورقة ٩٩) إلى جوار أبي بكر هذا أبا عمرو وأبا عمر.

١٠. أبن عبد الملك، الذيل والتكملة،٤:٢٩.

١١. ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢:٣١٨.

١٢. الغبريني، عنوان الدراية، ٣٠٣.

١٣. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤:٣٠.

١٤. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٢٨. المغرب في حلى المغرب، ٢:٤٦٧-٤٦٩ المقري، نفح الطيب، ٤:٤٦٩-٤٧١

خلط بعض من أرخ لأبي عثمان سعيد بن حكم بين جزيرتي ميورقة ومنرقة، ولعل ذلك راجع إلى تشابه كتابة الجزيرتين، وهما جزيرتان من جزر ثلاث تقع في غربي البحر الأبيض المتوسط قرب شبه جزيرة ايبيريا، وتعرف بجزر البليار وهي ثلاث جزر: ميورقة وهي الكبرى وتليها منرقة أو (منورقة) ويابسة. أنظر الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، وعصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية.

١٥. ابن الأبار، الحلة السيراء،٢:٣١٨

وابن عبد الملك، الذيل والتكملة،٤٠:٣٠-٣١.

١٦. ابن الخطيب، أعمال الأعلام،٢٧٦ .

١٧. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧٧ سيسالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنسية ٤٥٨.

١٨. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧٥-٢٧٦. توفي ابن مفوز بتونس سنة٦٦١ هـ، وكان قد أسمع بمنرقة ثم بتونس، ومولده سنة ٥٩٦هـ، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس(القسم الأول):١٠.

١٩. الغبريني، عنوان الدراية، ٣٠٤.

٢٠. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤:٣٠.
السيوطي، بغية الوعاة ١:٥٨٣.
٢١. المقري، نفح الطيب، ٤:٤٧١.
٢٢. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،٤:٣١.
السيوطي، بغية الوعاة، ١:٥٨٣.
٢٣. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤:٢٩-٣٠.
٢٤. ابن القاضي، درة الحجال، ١:٥٩.
٢٥. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧٢-٢٧٤.
٢٦. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ٢:١٢٨-١٣٠.
٢٧. ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ٣٠-٣٦ وابن الأحمر هو الغالب بالله محمد بن يوسف بن الأحمر الخزرجي الأنصاري مؤسس مملكة غرناطة، وقد حكم بين سنتي ٦٣٥-٦٧١هـ وكان مولده سنة ٥٩١هـ.
٢٨. ابن عذارى، البيان المغرب(القسم الثالث) ٢٧٩ و ٢٨٨ و ٣٢٢.
٢٩. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ١١٢.
٣٠. ابن عذارى، البيان المغرب ٤:٣٣٨ و ٣٨١، وقد مدحه الشاعر ابراهيم بن سهل بقصائد عدة منشورة في ديوانه.
٣١. ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢:٣٠٨-٣١٤ ابن سعيد، اختصار القدح المعلى -١٤٧ ١٤٦ ابن الزبير، صلة الصلة: ١٦٥.
٣٢. ابن الأبار، الحلة السيرا، ٢:٣٠٣-٣٠٨.
٣٣. ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقة ١١٥، وبها نص الظهير، وهو من إنشاء أبي المطرف بن عميرة المخزومي.
٣٤. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٩٨ و ١٤٥.
مجهول، الذخيرة السنية، ٨٠.
٣٥. ابن رشيد، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة،... الجزء الثاني.
٣٦. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة ٢:٣٤٨-٣٥٩.
الغبريني، عنوان الدراية، ٣٤٩-٣٥٩
المقري، نفح الطيب، ٧:٤٠٦-٥٠٦
٣٧. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى ٥٣-٥٩
ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الأول(القسم الثاني) ٥٢٢-٥٢٤
توفي ابن يامن بتونس سنة ٦٦١هـ.
٣٨. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ١٧٩-١٨٠.
٣٩. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ١٨٩.

الغبريني، عنوان الدراية، ٢٧٩ -٢٨١.
المقري نفح الطيب، ٤:٤٧٣-٤٧٦.

٣٩ . ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٢٨.

٤٠ . إبراهيم بن سهل، الديوان: ١٣٦.
ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقة ١٩٠.

٤١. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى: ٢٨ .

٤٢. المصدر نفسه، ٩٨-٩٩ و ١٠٤

٤٣. المصدر نفسه، ٣٤

٤٤. ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقات ٦١-٧١ و ٧٦-٨٠.
محمد بن شريفة، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ..١٩١ و٢٢٤و٢٢٦-٢٢٧.
يعد كتاب ابن شريفة الذي كان رسالة جامعية قدمت إلى جامعة محمد الخامس نموذجاً للدراسة المستقصية والعمل الدؤوب، وقد شمل كثيراً من جوانب الحياة الأدبيـــة فـــي الأندلس وشمالي إفريقية في النصف الأول من القرن السابع الهجري. طبع الكتاب سنة ١٩٦٦.

٤٥. الغبريني، عنوان الدراية، ٣٠٤.

٤٦. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ٤:٣١

٤٧. المقري، نفح الطيب، ٤:٤٧٢

٤٨. ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقة ٤٣.

٤٩. ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ٤ جزء ١ ص ٨٥ وما بعدها.

٥٠. ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، الورقتان ٢٨-٢٩.

٥١. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكلمة،٤:٣١.

٥٢. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى،٣٨.

٥٣. المصدر نفسه،٣٩.

٥٤. المصدر نفسه،٣٨.
أحارت: صيرت. مقويات: متهدمة كالدار المتهدمة الموحشة.

٥٥. المصدر نفسه،٣٢.

٥٦. المصدر نفسه،٣٠.

٥٧. ابن المرابط، زواهر الفكر، الورقة٤٤.
ابن سعيد، اختصار القح المعلي،٣٠.

٥٨. ابن سعيد، المصدر نفسه،٣٢.

٥٩. المصدر نفسه،٣٣.

٦٠. المصدر نفسه، ٣٥.
٦١. المصدر نفسه، ٣٣.
٦٢. المصدر نفسه، ٣٣.
٦٣. المصدر نفسه، ٣٣ البراء: ليلة البراء أول ليلة في الشهر.
٦٤. زواهر الفكر وجواهر الفقر، الورقة ٤١. المجبنات: نوع من القطائف يضاف إليها الجبن في عجينها، وتقلى بالزيت الطيب، وكانت معروفة في الأندلس وبلاد العرب.
٦٥. المصدر نفسه، الورقة ٤٤.
٦٦. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٢٩.
٦٧. المصدر نفسه، ٣٠ و٣٤ و٤٠ و٤١.
٦٨. المصدر نفسه، ٣٧.
٦٩. المصدر نفسه، ٣٥.
٧٠. المصدر نفسه، ٤٩. وقد أوراد ابن سعيد لأبي المطرف بن عميرة عدة مقطوعات في مدح ابن حكم. كما احتفظ لنا ابن المرابط في السفر الثالث من زواهر الفكر وجواهر الفقر بكثير من رسائل ابن عميرة التي بعث بها إلى ابن حكم من بجاية وتونس وقابس ومرسية، وكان كل منهما يجل صاحبه ويثني عليه. (زواهر الفكر: الورقات: ٦٥-٨٢).
٧١. ابن سعيد، المصدر نفسه،٢٢ وقد أورد ابن المرابط في زواهر الفكر(ورقة ٥١) رد ابن حكم على رسالة ابن خطاب التي أرسلها من المرية شعراً ونثراً وقد أثبت ستة وعشرين بيتاً يقول منها:

إني أرقت لطارق وافاني ... وهناً فأوهن عقدة الأجفان
حيا فأحيى بعد بعد تحايل ... إن البعاد هو الممات الثاني

٧٢. ابن سعيد، المصدر نفسه، ٢٥.
٧٣. ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر الورقات ٥٥-٥٨، والقصيدة طويلة أثبتها ابن المرابط في الورقتين ٥٨-٥٩.
٧٤. المصدر نفسه، ورقة ٤٥.
٧٥. المصدر نفسه، الورقات ٥٩-٦٤،٨٢.
٧٦. المصدر نفسه، الورقات ٤٦-٤٨ الأبيات التي بين الأقواس من نظم ابن حكم وقد أورد ابن المرابط القصيدة كاملة وما نظمه ابن حكم منها.
٧٧. ابن سهل، الديوان: الموشحة١١ ص ٤٤٥.
٧٨. ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقة ١٦٤.
٧٩. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤:٣٠.
٨٠. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٢٩. كما يذكر ابن سعيد جزءاً من رسالة

لأبن حكم كان قد ارسلها إلى صديقه ابن همشك وذيلها بأبيات من الشعر (ص١٠٤) وجزءاً من رسالة أرسلها إلى أمير تونس وقد احتفظ ابن سعيد بأبيات الشعر التي ختم بها ابن حكم رسالته.

٨١. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى،٣٦ ابن المرابط، زواهر الفكر، ورقة ٤٨.

٨٢. يصادي: يمنع.

٨٣. أي حذفت الفاء، وهو أول حروف الكلمة، صار باقي الكلمة "نار".

٨٤. بتكت: قطعت يريد حذف الراء فالباقي بعدها " فنا".

٨٥. يريد تصحيف الراء إلى همزة.

٨٦. ناشئة الليل: ساعاته كلها، وقيل قيامه.

٨٧. ابن سعيد، القدح المعلى، ٣٦-٣٧.

المراجع

١- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد

تحفة القادم، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨٦

التكملة لكتاب الصلة، ج١-٢، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة ١٩٥٦

كتاب الحلة السيراء، ج١-٢ تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣

ديوان ابن الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس، تونس ١٩٨٥.

٢- ابن إدريس، أبو بحر صفوان التجيبي المرسي

زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أعده وعلق عليه عبد القادر محداد، بيروت ١٩٨٠.

٣- ابن الخطيب، لسان الدين

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١-٤ تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة ١٩٧٥-١٩٧٧

كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال بيروت، ١٩٥٦.

اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٤٧هـ.

٤- ابن رشيد، أبو عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي

ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج٢

تحقيق محمد الحبيب بالخوجة، تونس ١٩٨٢.

٥- ابن الزبير، أبو جعفر أحمد

صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٧.

٦- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى

اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٥٩

المغرب في حلى المغرب ج ١-٢ تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٥٣-١٩٥٥.

٧- ابن سهل، إبراهيم

ديوان ابن سهل الاسرائيلي، تحقيق محمد قوبعة، تونس، ١٩٨٥.

٨- ابن شريفة، محمد

أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، الرباط، ١٩٦٦.

٩- ابن عذرى (المراكشي)

البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب (القسم الثالث) عني بنشره أمبروس هويسي مرانده، تطوان ١٩٦٠.

١٠- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي
درة الحجال في أسماء الرجال، ج١، نشر علوش، الرباط ١٩٣٤.

١١- ابن المرابط، أبو العلاء محمد بن علي المرادي
زواهر الفكر وجواهر الفقر، مخطوط بمكتبة الأسوريال باسبانيا، تحت رقم ٥٢٠.

١٢- التلمساني، أبو عبدالله
الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة، ج١-٢ تحقيق محمد التونجي، الرياض، ١٩٨٣.

١٣- التنبكتي، أحمد بابا
نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبدالله الهرامة ج١-٢ ط. طرابلس ١٩٨٩م.

١٤- الحميري، محمد بن عبد المنعم
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط.٢ بيروت ١٩٨٤.

١٥- ريبيرا
المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محمد محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ٤ ج١.

١٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٦٤.

١٧- سيسالم، عصام سالم
جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) بيروت ١٩٨٤.

١٨- الغبريني، أبو العباس أحمد بن عبدالله
عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض بيروت، ١٩٦٩.

١٩- مجهول
الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق محمد بن شنب ط. الجزائر ١٩٢٠.

٢٠- المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي
الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول (القسمان الأول والثاني) تحقيق محمد بن شريفة ط. بيروت (بدون تاريخ).

بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٤.
السفر الخامس، (القسمان الأول والثاني) تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٥.
٢١- المقري، أحمد بن محمد التلمساني
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج١-٨، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨.